الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

شماره ثبت
تاریخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

الحسين في التاريخ

● الدكتور مصطفى زيادة

ايها الجمع الكريم ، والله سبحانه وتعالى في سمائه ، والناس في اقطار الشرق والغرب ، والتاريخ في الكتب العربية والاجنبية ، والعقول في رؤوس أصحابها ـ كل ذلك يشهد لكم بهذه الصفة التي اتصف بها القرآن الكريم ، والنبي الكريم . تلك الشهادة لكم ترجع الى تخليدكم مصرع الحسين ، والى احيائكم للمبادىء السامية التي خرجت مرفوعة الرأس يوم كربلاء والطفوف . اني تعلمت من التاريخ أن الحق يعلو دائماً ولايُعلى عليه أبداً ، والفكرة الطيبة لاتموت ولاتزهق بل تبقى حية سواء خفيت تحت ضغط غاشم ، أو أزهقت تحت استبداد طارىء ، والدولة الاموية ، وكذلك العباسية ، وكذلك العثمانية عملت كلها على إخماد فكرة تمجيد الحسين ، وإحياء ذكرى مصرعه للأسف . ومع هذا كله بقيت الفكرة لما فيها من الحق ، وما فيها من معان رفيعة ، وها أنتم بجمعكم هذا الكريم تبرهنون على ماأقول في وصفكم ، وفي وصف مصرع الحسين وقد شهدت بعض ليالي العزاء فامتلأت إعجابا بمحافظتكم على تلك المعاني الرفيعة .

إن الحسين لم يقم قومته الخالدة في سبيل منفعة ، ولم ينتقل من المدينة الى مكة في سبيل بيعة والسلام ، ولم يقصد الى العراق حبّاً في شهرة ، ولم يرفض البيعة ليزيد جريا وراء مصلحة ذاتية عاجلة او آجلة . لو كان الامر كذلك لبقى الحسين بمكة مثلا سنة ستين للهجرة ؛ ولشهد الحج تلك السنة ، ولدعا الناس الى مايزعمه له البعض من خلافة عادية ، أو لسمع لبعض نُصحائه حين اشاروا عليه بالبقاء حيث هو ، أو الرحيل الى اليمن . الحقيقة انه اراد ماهو أسمى وأعظم من ذلك كله ، أو ان الله أراد له ما هو أسمى وأعظم من ذلك كله ، حتى إذا كانت كربلاء وقضى الأمر بات الحسين مع الخالدين في الدنيا والاخرة .

إيه أيتها السنة الستين من الهجرة إيه أيها اليوم العاشر من الشهر المحرم من السنة الواحدة والستين من الهجرة . أراد الحسين أن يأوي الى الكوفة معقل أبيه ، ليجعل منها معقلا للمبادىء السامية التي نادى بها طوال عمره ، وموئلا للوحدة الاسلامية التي تمناها للمسلمين . ولعمري إن خوف يزيد وابن زياد من مقدم الحسين الى العراق بالذات ، وإن إلحاح شمر بن ذي الجوشن في التعجيل بالقضاء على الحسين ـ كل ذلك دليل صدق على عزيمة الحسين وايمانه ، وبرهان على شجاعته واخلاصه ، واقباله على ركوب الاخطار ، في سبيل المبدأ، الذي تمنى تحقيقه على يديه ، فلو كان في مسير الحسين الى العراق خطر قليل على الدولة الاموية لما اقبل اولياء السوء بعضهم على

بعض يتآمرون ويتضافرون على قتل الحسين اشنع قتله .

والمؤرخ لايستطيع أن يرى نتيجة للحوادث السابقة لكربلاء الا النتيجة التي انتهت اليها تلك المأساة . الحسن هو ابن النبي كما قال النبي صلوات الله عليه وعلى آله ، والحسين هو وأخوه سيد شباب أهل الجنة ، والحسين معدن الطهر والعفاف ، والفروسية الرياضية ، والشجاعة ، والاخلاص ، والصراحة . هذا هو الحسين في بعض صفاته الواضحة ، ويريده يزيد بن معاوية على البيعة له للخلافة بين المسلمين ؛ وهو المتهوّر العنيف ، الفظ الغليظ الطبع ، خليل الندامى والقرّادين والفهادين ، المتواني عن العظائم والمصالح العامة بشهادة أبيه . الفرق شاسع وأيم الله ، والواقع إنه لامقارنة بينهما إذ كيف يستوي الخبيث والطيب ، أو كيف يتشابه الظلام والنور ، أو يتكافأ الحنظل والشهد ، او كيف يبايع الحسين يزيد .

الحقيقة ان تحكّم النعرة ، ونكد الدنيا ، وعماية الشهوات الجاهلية ، هي التي ألقت بنور الحسين أمام ظلمة يزيد ، وتشاء الاقدار وعلمها عند الله ، ان ينتهي الامر بمصرع الحسين على يد أسوأ خلق الله ، بل تحت أرجل أسوأ خلق الله . ومع هذا فلم ينتصر يزيد ، وحاشا أن تنتصر صفاته النكراء . انما كان الانتصار للحسين الشهيد . وأية ذلك جمعكم الكريم اليوم . هذا هو حكم التاريخ لا عوج فيه ولاأمتا . هل أدلكم على شيء من التاريخ لتعرفوا من كان المنتصر المنصور ، ومن كان المنهزم المقهور في كربلاء ؟ مات الحسين ميتة الابطال ، واستشهد في سبيل المبدأ الاسلامي والوحدة الاسلامية ، وظل من يوم مصرعه تحبوه التحيات والصلوات على روحه الطاهرة .

ومات يزيد ولما يتجاوز عمره السابعة والثلاثين ، بعد أن مرض بذات الجنب ، بسبب إصابة كبده من إدمان الشراب والافراط في كل السيئات ، وظلّ منذ وفاته لايذكره الناس والتاريخ إلا بالشر والفحش أبد الأبدين ، والذكر بالشر والسوء هو اقصى ماحصل عليه يزيد من التاريخ ولكن . . . أما كان ليزيد أن يرجع عن غيه ، وان ينزل عن بعض ماجناه عليه أبوه معاوية عندما زرع الضغينة والفتنة في قلبه باستجلاب البيعة له بالرشوة والوعيد ، مع وجود من كان أحق منه بخلافة المسلمين وبيعتهم ألف مرة . الحقيقة انه لم يكن في مقدور يزيد أن يرجع عن الباطل الى الحق ، وما شاء ان يقوم بشيء من ذلك ، ولو شاء ما عرف ، فإن السلطان يعمى ويصم ، والدنيا متاع الغرور ، وكان يزيد كما أثبت التاريخ صنيعة السلطان والدنيا ، ووليد الخداع والحيلة من أجل المنفعة الذاتية ، ولو كان في ذلك خراب المسلمين والوحدة الاسلامية . ثم إن يزيد كان وريث بني أمية وعصبياتهم . وهل ادلّ على ذلك من تاريخ بني أمية قبل الاسلام وبعده ؟ لقد اضطهدوا بيت الرسول قبل الاسلام ؛ وكان حرياً بتلك الاسرة أن تنزل لبيت الرسول عن كل ما هو جدير ببيت الرسول وحده ، وذلك بعد ان اسلم افرادها وصاروا من زمرة المسلمين ، لانه لم يعد لأحد من بني امية او غيرهم شرف يسامت شرف البيت النبوي بعد الاسلام .

وهنا موضع العجب المريب ، على ان الحقيقة لاتدعو الى العجب ، وانما تدعو الى الأسى والكراهية ، وهي ان الامويين لم يتنازعوا عن ادعاءاتهم القديمة ، ومناوراتهم البغيضة ،

ولم ينسوا صفاتهم التجارية القائمة على الربح المادي في كل صفقة ، والمنفعة العاجلة والزخرف في كل مناسبة ، ولذا تعامى يزيد عن مصلحة الدولة الاسلامية . وطعن مبادىء التضحية والاخلاص . بعد ان ضرب بها عرض الحائط . ولذا كان يزيد وابوه معاوية من قبله اصحاب الصدع والخرق الاول في الجبهة الاسلامية المباركة وللصدع رجع واتساع . والخرق والعياذ بالله قد يصبح مستحيلا على الواقع .

ايها الجمع الكريم !! أن الحسين قد نال شرف التاريخ ، ولاينال شرف التاريخ إلا من أوتي من اخلاق الحسين وصفاته شيئا . وقد نال الحسين شرف تخليدكم ليوم مصرعه كما نلتم انتم كذلك الشرف الجدير بأهل المبدأ . اهل المحبة والعدل ، اهل الكره للظلم والجبروت . إن كثيراً من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين يبدؤون دراستهم مجردين عن كل معرفة بما في مصرع الحسين من اسرار خالدة ، ثم لايلبثون ان يخرجوا من دراستهم في قلوبهم حزن على مصرع الحسين ، وحكم صارم على يزيد .

هل ادلكم مرة اخرى على دليل تاريخي قريب . إنه لولا مصرع الحسين لما عرف التاريخ عن يزيد شيئا قليلا أو كثيراً . أما الحسين فمعروف الشمائل والمناقب قبل كربلاء وبعدها ، وربما كان اقل مآثره ان الناس وجدوا في صفاته النورية امثلة تحتذى ، واخلاقا هي خير قدوة للعاملين . ولا إخال المجتهدين في السير على هديه ومبادئه إلا قليلين ، ممن لايبهرهم زيف المنفعة الشخصية ، ولاتغني قلوبهم زخارف الطمع .

وغريب والله ان يوجد بين صفوف المسلمين في صدر الاسلام نعرة السلطان ، والعصبية الجاهلية من اجل السلطان والعصبية الجاهلية ، لامن اجل العامة والاخلاص للدين ، سيما ان الاسلام كان وقتذاك نبتا غضا يحتاج الى مجهود كل مخلص للدين ، سيما ان معظم المكتهلين من المسلمين وقتذاك كان ممن رأى الرسول ، وشهد بنفسه او سمع بحب الرسول للحسين واخيه .

وليس في تلك الغرابة سذاجة وجهل بطبائع البشر ، فقد احس بها كثيرون ممن عاصر مأساة كربلاء واولهم علي زين العابدين . اذ قال ليزيد وهو يؤنبه في ملأ من آل الحسين ونسائه (مقرنين في الحبال يايزيد . ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله . لو رآنا على هذه الصفة ؟) . فأطرق يزيد ويا عجباً خجلا . كما يطرق الطفل العاصي ندما . ولات حين مندم .

فسلام الله على الحسين . وسلام عليكم جميعاً . واحييكم وارجو الله ان يهيء لي ولكم ولسائر والمسلمين بأقطار الارض . مانحن قمينون به من الرشد والخير والوحدة والقوة والسعادة في الدارين .

اميلوها الى ذات اليمين ... على اجام اساد العرين
ركائب حملت وجداً وشوقاً ... وما يسمو على الدر الثمين
الى بلد به خلفت روحي ... تحن حنين فاقدة القرين
ذكرت بها الاحبة حين اودى ... بهم في كربلا ريب المنون

الحاج محمد عجينة النجفي (المتوفى ١٣٣٤هـ)